

الحمد لله رب العالمين

لله الحمد
فرب العالمين

هند بنت المطلب

www.dawatmemoo.com

ذلة البرىء كثيرة

من - عبد

(٤)

هند بنت المهلب

* قال الفقيه أبوب السخناني :
ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب .

هند بنت المهلب

المَرْأَةُ الْعَاقِلَةُ :

* قال التابعي الفقيه أيوب السختياني - رحمه الله - : ما رأيت امرأةً أعقل من هند بنت المهلب .

* فعن هند هذه المرأة العاقلة التي أنى عليها سيد فقهاء عصره ، التابعي النائل ، الزاهد الحافظ ، القت الثقة ، أيوب السختياني !^(١) .

* لا شك أنها امرأة ذات حظ عظيم من كمال العلم ومعرفة الأدب والأخلاق ، فهل أتاك حديث هند هذه ؟

* إنها هند بنت المهلب بن أبي صفرة الأزديّة البصرية^(٢) .

* وأبوها : الأمير ، البطل ، قائد الكتائب ، المهلب بن أبي صفرة ، واسم أبي صفرة - سالم بن سراق الأزدي التابعي الكريم ، حدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسمارة بن جندب ، وابن عمر ، والبراء ابن عازب رضي الله عنهم . وكان المهلب سخياً ، شجاعاً ، فاضلاً ، عاقلاً ، توفي غازياً سنة (٨٢ هـ) .

* أما هند ابنته فقد تزوجها الحجاج بن يوسف التقي المشهور ،

(١) تاريخ الطبراني (٦٨٤/٣) ، وتأريخ دمشق (ص ٤٦٢) .

وَكَانَتْ لَهَا مَعَهُ أَخْبَارٌ مُلْأَةٌ بِهَا بَطُونُ الْكُنْبِ.

* ومنذ أن نشأت هند - رحمة الله - عُرِفت برجاحة العقل ، وبُعدِ الأهمة ، كما اشتهرت بفصاحتها النادرة ، وبلامختها الواضحة ، وحكمتها الهادفة ، وكمال أدبهَا ، وحسن خصالها ومرءتها .

* وفي جلسة أميرية خاصة جمعت الحجاج بن يوسف وبعض الأعيان ، جرى خلا لها حديث النساء وذكر أحوالهن ، فادلى كل دلوه في هذا ، وتحدث عن زوجته ، وأيان فضليها ، وما فيها من خصال حميدة ؟ ولكن الحجاج وصف نسائه بما يلذ له السمع ، ويطردُ له القلب ، فلدونك فاستمع حديث الحجاج عن نسائه إذ قال : عندي أربع نسوة : هند بنت المهلب بن أبي صفرة ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم الحلاس بنت عبد الرحمن بن أميد ، وأمّة الرحمن بنت جرير بن عبد الله البُجْلِي .

فَأَمَا لِي لِيَتِي عَنْدَ هَنْدَ بَنْتِ الْمَهْلَبِ فَلِيلَةٌ فِي بَيْنِ فَتَاهَنِ يَلْعَبُ وَيَلْعَبُونَ ؛ وَأَمَا لِي لِيَتِي عَنْدَ هَنْدَ بَنْتِ أَسْمَاءِ فَلِيلَةٌ مَلِكٌ بَيْنَ الْمُلُوكِ ؛ وَأَمَا لِي لِيَتِي عَنْدَ أُمِّ الْحَلَّاسِ فَلِيلَةٌ أَعْرَابٌ مَعَ أَعْرَابٍ فِي أَحَادِيثِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ ؛ وَأَمَا لِي لِيَتِي عَنْدَ أُمّةِ الرَّحْمَنِ بَنْتِ جَرِيرٍ فَلِيلَةٌ عَالَمٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ^(۱) .

* * *

الغالقة الروائية :

* لم تقف هند بنت المهلب عند حُسن معاملة الزوج ، والبعد عن

(۱) العقد الفريد لابن عبد ربه (٤/٦١٠٥ و ١٠٦).

سخطه ، ولم تقف كذلك عند أبواب القصور تخيل العطرف في زخارفها ، بل أخذت بنصيب موفور من العلم والرواية عن أكبر علماء التابعين ، وعمن لقوا صاحبة رسول الله ﷺ فأخذوا عنهم ، ونشروا علمهم في مشارق الأرض ومغاربها .

* وطرقت هند أقرب أبواب العلم لديها ، فحدثت عن أبيها المهلب – وكان أحد رواة الحديث – كما حديث عن الحسن البصري إمام التابعين وسيدهم ، وعن أبي الشعثاء جابر بن زيد^(١) – رحمهم الله – .

وحكى عنها ابنا أخيها : حجاج بن أبي عبيدة بن المهلب ، وأخوه محمد بن أبي عبيدة ، وزياد بن عبد الله القرشي ، وأبو سلمة مولى العتيك^(٢) .

* * *

الْفِقِيقُ النَّجِيْهُ :

* كانت هند بنت المهلب – رحمها الله – على جانب عظيم من

(١) أبو الشعثاء : جابر بن زيد التابعي الأزدي البحدسي مولاهم البصري الخوق – والخوق ناحية من عمان – ولد سنة (٦١ هـ) كان عالم أهل البصرة في زمانه ، يُعدُّ مع الحسن البصري وأبن سيرين ، وهو من كبار تلامذة ابن عباس . حدث عنه جلة التابعين ، وكان بحراً في العلم مجاهداً في العبادة لبيباً محدثاً ثقة .

قال ابن عباس للرباب : تسألي وفي و Vickم جابر بن زيد ! وقال ابن حبان في الثقات : كان فقيهاً ، ودفن هو وأنس بن مالك في جمعة واحدة ، وكان من أعلم الناس بكتاب الله عز وجل . كانت وفاته في سنة (٩٣ هـ) رحمة الله تعالى . (سير أعلام البلاء ٤/٤٨١ - ٤٨٢) ، و (تهذيب التهذيب : ٣٨/٢ و ٣٩) .

(٢) تاريخ دمشق (ج ٤٦) .

الفقه والعلم والتجارة ، فعلى الرغم من أنها زوجة أمير كبير ، وابنة أمير كريم ، وتقلّب في أحضان النعيم وأفياه ذات العين وذات الشهال ، إلا أن هذه المظاهر كلها لم تمنعها من أن تعمل يدها ، لما في هذا من أجر ، وطرد للشيطان ووسوس النفس ، وكانت تعمل بهذا من باب التفقه بالدين والدرأة بالحديث الشريف ، روى تلبيتها زياد بن عبد الله القرشي قال :

دخلت على هند بنت المهلب بن أبي صفرة امرأة الحجاج بن يوسف ؛ فرأيت في يدها مغراً ، فقلت : أتغزلين وأنت امرأة أمير المؤمنين ؟ قالت : سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ : « أطولكن طاقة ، أعظمكن أجرًا ، وهو يطرد الشيطان ، ويذهب بحديث النفس ». (١)

* ومن روايتها عن الحسن البصري ما حدثت بهذا الحديث فقالت : قلت للحسن : يا أبا سعيد - كنية الحسن - ينظر الرجل إلى عنق أخيه ، وإلى قرطها ، وإلى شعرها ؟ قال : لا ، ولا كرامة .

* وتبين لك من هذا القول مدى معرفة هند وحرصها على طهارة المرأة ، وتبينها لمواطن النساء والظهور حتى في بيتهما ، وهذا وصفها أبوب السختياني بقوله : ما رأيت امرأة أعقل منها .

* * *

(١) تاريخ دمشق (ج ٤٦٣) ، وانظر مجمع الزوائد (٤ / ٩٣) . وفي إسناده : يزيد بن مروان الخلال ، قال سعيد بن معين : كذاب . (ميزان الاعتدال ٤ / ٤٣٩) .

شَهادَةُ رَاكِيَّةُ لِأَسْتاذِهَا :

* لعل هنداً من أقدر الناس على قول الحق إن لم تكن أقدرهن ، وفي قوله للحق لا تحابي أحداً ، أو تندح أحدهما ليس فيه ، ولكن تذكر صفاته الموجودة فيه ، من ذلك أنهم ذكروا عندها جابر بن زيد
— أستاذها — وقالوا : إله كان إباضياً^(١) ، قالت : كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى أمي ، فما أعلم شيئاً كان يقربني إلى الله إلا أمرني به ، ولا شيئاً يبعدني عن الله إلا أنهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية فقط ، ولا أمرني بها ، وإن كان لي أمرني أين أضع الخمار ، ووضعت يدها على الجبهة .

* * *

هَنْدُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

* هند بنت المهلب موقف رائع مع عمر بن عبد العزيز - رحمة الله - ؛ يدل على وفرة عقلها ، وتمكنها من البلاغة المقونة بالمحاجة اللطيفة ، حدث ابن عساكر - رحمة الله - فقال :

قدمت هند بنت المهلب على عمر بن عبد العزيز - رحمة الله -

(١) « الإباضية » : أتباع عبد الله بن إباض ، وهم أكثر الخوارج اعتماداً وبعداً عن الشطط والغلو . وجابر بن زيد هو الأزدي البصري ، أبو الشناء : تابع فقهه ، من الأئمة . وكان من بخور العلم ، وصفه الشافعى - وهو من علماء الإباضية - بأنه أصل المذهب وأئمه الذي قامت عليه آطامه . نفاه الحجاج إلى عمان . توفي سنة (٩٢ هـ) وقال قحادة : اليوم مات أعلم أهل العراق .

بُخَاصِرَة^(١) - وكان قد حبس أخاه يزيد بن المهلب - فقالت له : يا أمير المؤمنين علام حبس أخي ؟

قال : تخوفت أن يُشَقَّ عصا المسلمين .

فقالت له : فالعقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب ؟ !

وقد كان هند - رحمها الله - مكانة عند خلقه بني أمية ، وكلمة مسموعة ، فقد أورد ابن الأثير^(٢) - رحمه الله - أن هنداً أرسلت إلى يزيد بن عبد الملك في أمان أخيها أبي سعيدة بن المهلب ، فآمنه ، واعترف بمكانتها ، وعرف قدرها - رحمها الله - .

* ومن الجدير بالذكر أن آل المهلب عراقة في تاريخ السيادة والرئاسة والسؤدد ، فكان يقال عنهم :

ثلاثة سادة في تسلق :

المهلب بن أبي صقرة ،

وابنه يزيد بن المهلب ،

(١) « بُخَاصِرَة » : بلدة من أعمال حلب تخاذل قسرهن نحو الباادية ، وذكرها المشي

قال :

أحب حصاناً إلى بُخَاصِرَة وكم نفس تحب محبها
حيث السقي خذها وتفاج لـ نـان وتقري على حميـها
« حـيـها » : موطن حـيـاتها ، الحـمـيـاـ : الحـمـرـ أو سورـها كـلـ ذـكـرـها قـبـلـه عـدـيـ، بن
الرقـاعـ فقال :

وإذا الـرـيـفـ تـسـابـعـتـ آـنـوـاـةـ فـقـىـ بـخـاصـرـةـ الـأـحـصـ وـزـادـهـاـ
« آـنـوـاـةـ » : جـمـعـ نـوـءـ ، وـهـوـ المـطـرـ ، وـالـعـطـاءـ (معجمـ الـبـلـدانـ : ٣٩٠/٢) .

(٢) الكاملـ فيـ التـارـيخـ (٨٩/٥) .

وابنه مخلد بن يزيد ساذ وهو حسي -

وغيرهم يقول شاعر آل المهلب واسمه المغيرة بن جناء :

آل المهلب قوم إن مدحتم
كانوا الأكابر أباء وأجدادا
إن العراني تلقاها محشدة
ولا ترى للثام الناس خسادا^(١)

وفي يزيد بن المهلب أخي هند يقول الشاعر :

وما مات المهلب مذ رأينا
على أعداد من بره يزيدنا
له كفان كف نلدي وجود
وآخرى تمطر العلق الحديد^(٢)

* * *

من أقوالها وأرائها في النساء :

* لعل المرأة أعلم بخبيثة بنات جنسها من الرجل ، هذا كانت هند أقوال رائعة تدل على معرفتها بخبيثة زوايا النساء وما هن عليه من خفافيش ، ويدو أئمها في أقوالها - رحمها الله - نصائح للرجال والنساء معا ، فهند كانت من عقلاء النساء ، ولا تصدر قولها إلا عن رؤية وحكمة .

* ومن أبدع أقوالها وأجملها عن المرأة قولها : شيئا لا يؤمن المرأة

(١) « العراني » : مدادات الناس وأشرافهم وأعزتهم .

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٥) .

عليها : الرُّجَالُ وَالطَّيْبُ .

* وهذه القاعدة المبنية على الحكمة ، لا تخرج عن محور الدين ، فالدين حرم الاختلاط ، كما حرم الطَّيْبُ على المرأة إن أرادت الخروج من بيتها ، وهذا القول يشير إلى فقه هند ، وإلى مدى ما بلغته في فهم نفسية المرأة والرَّجُل معاً .

* وترى هند - رحمة الله تعالى - أن دواء النِّسَاء - على اختلاف أنواعهن - السُّتُّر ، وفي هذا تقول : ما رأيت لصالح النِّسَاء وشرارهن خيراً لهن من إلحادهن - سترهن - بمسكانهن .

* وتستدلي بهذه التَّصْيِحة لبنات جنسها فتقول :
رأيْتُ صلاحَ الْمَرْأَةِ إِلَيْهَا ، وفَسَادَهَا بِحَدْثَهَا ، وَإِنَّمَا يَجْمِعُ ذَلِكَ
وَيَفْرَقُهُ التَّوْفِيقُ .

* والجمالُ الحقيقي للمرأة - عندها - ليس ما كثُرَ عليها من الخليل
والجوهر والدياج ، أو حتى الحُسن فحسب ، ولكن لمفهوم الجمال معنى
آخر - أعمق - عند هند بنت المهلب حيث ذكرت عندها امرأة
بحمالٍ فقالت : ما تخلين النِّسَاء بخالية أحسن عليهن من لب ظاهر ،
تحته أدب كامل .

* نعم فالعقلُ والأدبُ هما جمال المرأة ، وفيهما تُشَعِّدُ زوجها ومن
حوتها ، وبهما تغذى أولادها ، وتعامل الناس على اختلاف مشاربهم .

* * *

حُكْمَتُهَا وَجُوَدُهَا :

* كانت هند بنت المهلب من أوئل الحكمة في عصر التابعين ، **﴿وَمَنْ يَؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا﴾** [البقرة : ٢٦٩] ، ولعل مصدر حكمتها يرجع إلى البيعة الندية التي عاشتها ، وإلى الحياة الاجتماعية التي كانت في تطور مستمر عصرئذ ، أضيف إلى ذلك كله أن هند نفسها قد نشأت على حب العلم ومواصلة العبادة ، كما فطرت على حب الكرم الذي يؤلف القلوب ، ويُجبر النفوس .

وهذا في الكرم أخبار تدل على نفسها الفريدة في عالم نساء عصرها ، فقد كانت تكرم النساء اللاتي يزورنها ، وكانت ترى أن يَدَ المعرفة والكرم غُنم حيث كانت ، حدَّثَ أَمَّا عبد الله الغنكي قال : **كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى هَنْدَ بْنَتِ الْمَهْلَبِ ، وَهِيَ تَسْعَ بِاللَّؤْلَؤِ ، فَإِذَا فَرَغَتْ مِنْ تَسْبِيحِهَا ، قَفَّتْ إِلَيْنَا فَقَالَتْ : أَقْسَمْتِهِ بِشَكْنَ**

كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى هَنْدَ بْنَتِ الْمَهْلَبِ ، وَهِيَ تَسْعَ بِاللَّؤْلَؤِ ، فَإِذَا فَرَغَتْ مِنْ تَسْبِيحِهَا ، قَفَّتْ إِلَيْنَا فَقَالَتْ : أَقْسَمْتِهِ بِشَكْنَ

* وهذا ليس بغرير على امرأة عقدت حلفاً وثيقاً مع الجود ، وأسكنته بين جوانحها ، ففي كتابه « المحامن والمساوئ » ذكر البيهقي أنها أتعنت في يوم واحد أربعين رقبة .

لذلك كانت ترى هذا من نعم الله عز وجل عليها .

* ومن فرائد أقوالها في حثها على الشُّكْر لأنعم الله عز وجل ، وتوجيه الناس إلى حفظ التَّعْمِة ، فقلما عادت نعمة بعد زوالها ، قال : إذا رأيت النعم مستدررة ، فبادروها بتعجيز الشُّكْر قبل حلول الزوال ^(١) .

(١) سجدة المجالس للقرطبي (٣٦١) .

* ألا ترى معنى أن هذا القول من كمال معرفة هند بكتاب الله عز وجل ، وحسن تدبر آياته ومعانيه ، فالله عز وجل يقول في محكم التنزيل : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدْنَكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] .

* أما الطاعة والمعصية فلهمَا تعريفان عند هند ، وهذا التعريف ينبع من حكمتها ، ويصدر عن عقلها ، ويرتبط بالأداب العامة ، ويلخص الناس بأوامر لفظ في سطرين اثنين ، تقول هند - رحمها الله - :

الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطیع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلت
أثاره ؛ والمعصية مقرونة بالبغض ، فالعاشي مغوب ، وإن مستثث رحمه ،
ونالك معروفة .

* وهذه الحكمة لا تصدر عن امرأة كهند إلا بعد معرفة الحقوق
والواجبات في ضوء الشريعة العراء .

* * *

هند تُعزّي نفسها :

* يقال : إن المرأة أقل صبراً في الحزن من الرجل ؛ ولكن هند بنت المهلب - رحمها الله - كانت من النسوة العاقلات في هذا المجال . ففي مجال العزاء كانت تجود بالحكمة الرائعة التي تحرى مجرى الأمثال ، وتبعد عن البكاء والعويل وتقطعيب التياب ؛ ففي كتابه « الأغانى » روى أبو الفرج الأصفهانى أن ثابت قطنة^(١) - أحد شعراء العصر الاموي - قد

(١) ثابت قطنة باللون وهو ثابت بنت كعب بن جابر العنكى الأزدي ، أصيّت عليه خراسان فجعل عليها قطنة ، فعرف بذلك .
وهو يشتبه بثابت بن قطنة - بالباء - وهو شاعر عربى ، وثبتت قطنة عنكى .

دخل على هند بنت المهلب لما قُتل المفضل بن المهلب - أخوها - وكان الناس حوطها جلوساً يعزونها ، فأنشدتها من شعره في رثاء المفضل الذي مات في سنة (١٠٢ هـ) :

يا هند^(١) كيف ينصب بات يكيني
وخيائر في سواد اليل يؤذيني
كان ليلى والأصداء هاجدة
ليل التليم وأعيا من يداويني
كان المفضل عزّاً في ذوي يمن
وعصمةً وتمالاً في المساكين

فقالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيت الحق ، وما من المرzeة
المصيبة - بد ؟ وكم من عيّنة فَيْت أشرف من حياة حي ، وليس
المصيبة في قتل من استشهد ذاتاً - مدافعاً - عن دينه ، مطليعاً لربه ،
وإنما المصيبة فيما قلت بصيرته ، وتحمل ذكره بعد موته ، وأرجو أن لا
يكون المفضل عند الله عز وجل خاماً .

فكان يقال : إنما ما عزّي يؤمذ بأحسن من كلامها - رحمة الله - .

* * *

(١) رأى ثابت قطنة يريد بن المهلب ، فقال يخاطب أخيه هنداً :
وفي غير الأيام يا هند فاعلمي طلب وثير نظرة أن تلومها

رُؤيا الحجاج وطلاق هند :

* من طرائف الأخبار وبدعها ، ما جاء في طلاق هند بنت المهلب ، وضررتها هند بنت أسماء ، وذلك لحلم رأه زوجها الحجاج بن يوسف ، فاعتقد أنه إن طلقها تأول رؤياه ، ولكن هل تتحقق الرؤيا ؟ وهل جعلها الله حقيقة ؟ .

* إذن تعالوا نستمع قصة هذا الحلم العظيف .

قالوا : إن الحجاج بن يوسف التميمي كان قد رأى في منامه أن عينيه قلعتا ، وكانت تخته هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء ، فطلق الهندان اعتقاداً منه أن رؤياه تأول بهما - إذ قلعهما بزعمه من البيت - فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه محمد بن يوسف في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد بن الحجاج .

فقال : والله هذا تأويل رؤيائي من قبل ، محمد و محمد في يوم واحد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أنسا يقول :

حسبني حياة الله من كل ميت
وحسبي بقاء الله من كل هالك
ثم قال لجلسائه : من يقول شعراً يسلبني به ؟ .

فقال الفرزدق : أنا أئها الأمير ، ثم أنسا يقول :
إن الرزية لا رزية مثلها
فقد ان مثل محمد و محمد

فِلِكَانْ قَدْ خَلَتِ الْمَسَابِرُ مِنْهُمَا
أَخْذَ الْحِمَامَ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصِدِ^(١)

* وهذا انتهت العلاقة الزوجية^(٢) بين هند بنت المهلب وبين الحجاج بن يوسف . أما عن حياة هند بعد إذ ، فيبدو أنها قد عاشت إلى أوائل القرن الثاني من الهجرة بعد خلافة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقد توفي عمر في سنة (١٠١ هـ) .

* ولا نملك دليلاً قاطعاً يحدد سنة وفاة هند ، ولكن أخبارها التي وصلتنا تشير إلى أن وفاتها كانت بعد سنة (١٠١ هـ) .

* رحم الله هند بنت المهلب ، وغفر لها ، وفي وداع سيرتها تذكر أثارة من قوله :

إِذَا رَأَيْتَ النَّعْمَ مُسْتَدِرَةً فَبَادِرُوهَا بِتَعْجِيلِ الشُّكْرِ قَبْلَ حَلُولِ الرَّزْوَالِ .
حَمْدًا لِكَ رَبِّنَا ، عَلَى مَا أُولَئِنَا مِنْ نِعْمَ لَا تَنْعَصِي ، وَآخِرُ دُعَوانَا أَنْ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

(١) انظر في هذا : وفيات الأعيان (٢/٤٥ و ٤٦) ، وربيع الأول (١٩٣/٥) .

(٢) ذكر الطبراني وأبن الأثير سبب طلاق هند بنت المهلب بوجه آخر فقالا : إن بزيد بن المهلب كان في سجن الحجاج سنة (٩٠ هـ) ومعه إخوه ، وأنخذ الحجاج بعذبهم ؛ وكان بزيد يصر صرفاً خسناً ، وكان الحجاج يعيشه ذلك . فقبل له : إنه رُمي بتشابه ثبت تصلها في سابقه ، فهو لا يمسها شيء إلا صالح ، فلأمر أن يُعد بذلك .

فلمما فعل به صالح ، فلما سمعت هند صباحاً أخوها بزيد ، صاحت وناحت فطلقها الحجاج . عن تاريخ الطبراني ملخصاً (٣/٦٨٤) ، والكامل (٥٤٥/٥) .